

إستراتيجية الإحالة الضميرية في الأربعين النووية
أ. عادل رماش
جامعة محمد البشير الإبراهيمي

الملخص :

يعالج هذا العمل، موضوع الإحالة الضميرية، مبينا دورها في تماسك نصوص الأربعة النووية، وهذا من منظور نظرية النحو الوظيفي، بنموذجها "نحو الخطاب الوظيفي"، من خلال الكشف عن الروابط الإحالية المتمثلة في الضمائر، وبيان دورها في ربط أوصال نصوص الحديث النبوي الشريف وأثر ذلك في الاتساق والانسجام.

الكلمات المفتاحية: الروابط الإحالية، الاتساق، الانسجام، لضمائر، الأربعة النووية، نحو الخطاب الوظيفي.

Résumé :

Ce travail traite le sujet des connecteurs référentiels et leur rôle dans la cohésion & la cohérence d' Al Arba 'in An-Nawawia, c' est une approche textuelle réalisée à la lumière de la théorie de la grammaire fonctionnelle & en particulier sous son modèle-la grammaire fonctionnelle de discours- tout en s'appuyant sur la méthode descriptive, analytique et statistique et ce dans le but de déterminer les types de pronoms personnels sur lesquels se base Al Hadith Nabaoui Charif ainsi que le rôle que jouent ces connecteurs pour assurer sa cohésion & sa cohérence à travers le corpus d' Al Arba 'in An-Nawawia.

Mots clés :

Les connecteurs, les connecteurs référentiels, la cohésion, la cohérence,, la grammaire fonctionnelle de discours, Al Arba 'in An-Nawawia, les pronoms.,

تمهيد:

الضمير اسم وضع ليشير إلى مسماه الذي سبق ذكره وتعيينه، حيث يُعرّفه "السكاكي" بقوله: " اعلم أنّ الضمير عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره" (1) وعرّفه "المرادي" بقوله: " الضمير هو الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته." (2)

أُعتبرت الضمائر من المعارف، واختلف النحاة في عدّها من المبهمات فقد عدّ "سيبويه" ضمائر الغياب فقط من المبهمات⁽³⁾، في حين عدّ "المبرد" جميعها من المبهمات⁽⁴⁾، ونص عن هذا الإبهام في الضمائر بالكناية " فالضمير اسم يكنى به عن الظاهر من متكلم أو مخاطب أو غائب." ⁽⁵⁾، وقد خالفه "الرضي" في جعل ضمير الغائب فقط من الكنايات حيث يقول: " أنا وأنت ليس بكناية لأنه تصريح بالمراد وضمير الغائب كناية إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه غير صريح بظاهره فيه"⁽⁶⁾، ذلك لأن "ضمير المتكلم وضمير المخاطب فيهما من الحضور و المشاهدة ما يغني عن مرجع يوضح المقصود بهما، في حين أنّ ضمير الغائب -دائماً- محتاج إلى مرجع يبيّن المقصود به"⁽⁷⁾

1- دور الضمير في الربط و الإحالة:

كشف "الجرجاني" عن الدّور الرابطي للإضمار في سياق تفرقة بين الإظهار والإضمار بقوله: "الإظهار للقطع والاستئناف ووضع الكلام وضعا لا يحتاج فيه إلى ما قبله، والإضمار وضع الكلام وضعا يحتاج فيه إلى ما قبله"⁽⁸⁾

والربط بالضمير العائد في التركيب يقوم على المعنى وليس على الإعراب، يدلّك على ذلك تنوع المواضع والمحلات التي يحتلها فيما يربطه، فقد يكون رفعاً ونصباً وجزأً، وهو ما يؤهله لأن يكون رابطاً بين أجزاء الجملة الواحدة وكذا بين الجمل المستقلة في النص حيث لا تشترط وحدة البنية العاملة.⁽⁹⁾

فالدور الأساسي للضمائر هو الإحالة التي تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه⁽¹⁰⁾، حيث تعد الضمائر أفضل الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة فضمير المفرد الغائب "هو" ليس له معنىً خاصاً يتفرد به

إذا أخذ منعزلاً، بل يتضح معناه إذا ارتبط بلفظ آخر هو المرجع الذي يشير ويعود عليه، وهذا العائد قد يحيل على كلام سابق، وقد يحيل على كلام لاحق، وإحالاته على اللاحق تكون في سبعة أبواب - وكما بوبها ابن هشام⁽¹¹⁾

أمّا الحديث عن ربط الضمير العائد على متقدم لفظاً ورتبة، أو ما نطلق عليه بالإحالة على السابق ونستعير هنا جمع ابن هشام⁽¹²⁾ للأشياء التي تحتاج إلى ربط الضمير، وهي عشرة أشياء:

1. الجملة الواقعة خبراً: ويرى النحاة العرب أنّ الجملة الواقعة خبراً إن لم تكن مبتدأ في المعنى احتاجت إلى ضمير. والسبب كما يراه الرضي الاسترلابي هو أنّ "الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت أن تجعلها جزء الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض"⁽¹³⁾.

إذن فعمل الضمير هنا هو ربط أجزاء الكلام حتى يستقيم معناه. ويفهم من كلام الرضي أنّ الجملة الواقعة خبراً ليست كلاماً مستقلاً، فهي جزء من كلام. ولا يمكن لها أن تكون كلاماً حتى ترتبط بأجزاء الكلام الأخرى وتتسق معه.

وقد أشار قبلاً ابن يعيش إلى أنّ الجملة لا يمكن لها أن تكون خبراً ما لم يكن فيها ضمير يعود إلى المبتدأ، وهو شرط لها حتى تكون من تمام المبتدأ، "فإذا لم يكن في الجملة ذكر يربطها بالمبتدأ حتى تصير خبراً وتصير من تمام المبتدأ وقعت الجملة أجنبية من المبتدأ ولا تكون خبراً عنه، ألا ترى إنك لو قلت زيد قام عمرو لم يكن كلاماً لعدم العائد، فإذا كان ذلك كذلك لم يكن بدّ من العائد وتكون الجملة التي منها في موضع رفع خبر"⁽¹⁴⁾.

2. الجملة الموصوف بها: وهذه الجملة يربطها الضمير إمّا مذكوراً، نحو قوله تعالى (حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) (الاسراء: 93) فالضمير في (نقرؤه) يحيل رجوعاً على (كتاباً)، أو يكون مقدراً مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً؛ نحو

قوله تعالى: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة و لا يؤخذ منها عدل و لا هم يُنصرون) (البقرة48)، "فإنه على تقدير فيه أربع مرات" (15).

يعلل ابن يعيش سبب احتياج الجملة الواقعة صفة إلى الضمير الرابط؛ بأن الصفة كالخبر، فكما لا بد للجملة الواقعة خبرا من عائد يعود إلى المبتدأ، كذلك الجملة الموصوف بها تحتاج إلى ذلك الرابط (16).

3. الجملة الموصول بها الأسماء: وهذه الجملة أيضا تحتاج إلى ضمير يربطها بالموصول، والضمير فيها إما مذكورا، نحو قوله تعالى: (وفيها ما تشتهيهُ الأنفس وتلذّ العين وهم فيها خالدون (الزخرف71)، أو مقدرا كقوله تعالى: (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل ممّا تآكلون منه ويشرب ممّا تشربون) (المؤمنون33).

عمل الضمير العائد في الصلة، إنّما لأجل أن يعلق الصلة بالموصول، ويتممها به، إذ لا يتم الموصول إلا بصلته بكلام بعده تام، ليصير اسما بإزاء مسمى (17)، ولا يتم هذا الاتصال بين الصلة والموصول إلا بالرابط (الضمير) الذي يعود على الموصول، إذ "لا بدّ في كلّ جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول ويؤذن بتعلقها بالموصول... فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله أُن بتعلقها به" (18).

4. الجملة الواقعة حالا: وهذه الجملة تحتاج إلى رابط يربطها بصاحب الحال، والرابط في جملة الحال إما الواو والضمير معا، أو الواو فقط، أو الضمير، ومثال الضمير الرابط لجملة الحال؛ قوله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) (الزمر60)، فجملة (وجوههم مسودة) حال من (الذين كذبوا) والضمير في (وجوههم) أحال على

(الذين كذبوا)، فاكتفت الجملة بالضّمير الذي أدى دور الرابط لجملة الحال، وأسهم في اتساق الكلام. ويشير ابن يعيش إلى أنّ الجملة الواقعة حالا لا بدّ لها من رابط يربطها بما قبلها، ولا يجوز أن لا يؤتى برابط يربط الجملة بأول الكلام، فإن جيء به دلّ على أنّ الكلام معقود⁽¹⁹⁾.

5. الجملة المفسّرة لعامل الاسم المشتغل عنه: كما في قولنا: زيد ضربته، أو زيدا ضربت أخاه، فالضّمير في المثالين يحيل على الاسم المتقدّم (زيد)، والحديث في هذا الموضوع فيه خلاف بين النحويّين⁽²⁰⁾، ارتأينا ألا نخوض فيه، لأنّه ليس من غايتنا، ما نريده من بحثنا هنا أن نتعرّف على أهميّة الضّمير في ربط أجزاء الكلام.

6-7. بدلا البعض والاشتمال: يحتاج هذان النوعان من البديل إلى الضّمير العائد على المبدل منه، ويعمل الضّمير هنا على ربط البديل بالمبدل منه ويعلقه به⁽²¹⁾. والضّمير فيهما إمّا أن يكون مذكورا، نحو قوله تعالى: (ثمّ عموا وصمّوا حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين) (آل عمران 97)، والتقدير هنا (من استطاع منهم).

8. معمول الصفة المشبهة: والضّمير الرابط هنا إمّا أن يكون مذكورا، كما في قولنا: زيد حسن وجهه، أو مقدّرا نحو: زيد حسن وجهها؛ والتقدير (حسن منه وجهها)، أمّا في قولنا: زيد حسن الوجه، فيذكر ابن يعيش أنّها عوض عن الضّمير، ويعلّل ذلك بقوله: "وأما اختيار الألف واللام في الوجه فلأنّه إنّما كان معرفة بإضافته إلى الهاء التي هي الضّمير الأوّل فلما نزعوا ذلك الضّمير وجعلوه فاعلا مستمكنا عوضوا عنه الألف واللام لئلا يخرج عن منهاج الأصل في التعريف"⁽²²⁾.

9. جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء: وهو ممّا يربطه الضّمير، وسبب مجيء الضّمير في جواب الشرط -كما يرى الرضيّ الاسترأباديّ- "لأنّ جواب

الشرط هو الخبر في الحقيقة، والشرط قيد فيه، فلا يعتبر الضمير الذي فيه، فقولك: زيد إن جاءك فأكرمه، أولى من: فأكرم؛ وأن كان واقعا على غير المبتدأ من حيث المعنى، نحو: زيد إن جاءك فأكرمني، كفى الضمير في الشرط⁽²³⁾.

والضمير هنا إما أن يكون مذكورا، نحو قوله تعالى: (قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) (المائدة 115) أو مقدرًا؛ نحو قوله تعالى: (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) (البقرة 197) والتقدير (في حجّه).

10. الضمير في أفاظ التوكيد: مثل (نفس، وعين، وكلّ، وجميع)؛ نحو قولنا: جاء زيد نفسه، والزيدان كلاهما، والقوم أجمعهم فالضمير في المؤكّد أسهم في ربط الكلام بإحالته على المؤكّد، ويشترط في النفس والعين اتصالهما بضمير مطابق للمؤكّد، ويكون لفظهما يطابقه في الإفراد والجمع، وأمّا في التنثية فالأصح أن تجمع على (أفعل).

والإضمار شأنه شأن سائر مظاهر التعريف مشروط بعلم المخاطب بما أضمر وبعلم المتكلم بعلم المخاطب بذلك حتى يتحقق انسجام الخطاب، وهو ما عبر عنه "سيبويه" بقوله: "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنّما تضرر اسما بعدما تعلم أن من يُحدّثُ قد عرف من تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه"⁽²⁴⁾، أي أن الإضمار لا يكون إلا بعد حصول التعريف والتعيين والتخصيص، ويرى ابن جني أن الضمائر في حاجة إلى المفسر لتعيين الشخص وتخصيصه فيقول: "لا يُضمَر ما لا دليل عليه ولا تفسير له"⁽²⁵⁾، والأصل في المفسر الذي يرفع الإبهام عن معنى المضمّر أن يكون مقاميا حضوريا قائما على شهادة الحال في ضمائر المتكلم والمخاطب ومقاليا قائما على التقدم في الذاكرة في ضمائر الغائب.

ولئن كان الإضمار يحدثه المتكلم خلال عملية الكلام فإن للمخاطب دورا محوريا يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمّر، وإلا خرج الكلام إلى الألباز والإبانة المقتولة، "وإنما صار الضمير معرفة لأنك لا تضمّره إلا بعدما يعرفه السامع، وذلك لأنك لا تقول (مررت به) ولا (ضربتّه) ولا (ذهب) ولا شيئا من ذلك حتى تعرفه وتدرّي إلى من يرجع هذا الضمير."⁽²⁶⁾

ويمكن للضمير أن يحيل لغيره ما هو معتاد أن يحيل إليه تجاوزا في النص، لأن اللغة قادرة على تعويض المتكلم والمخاطب بالغايب في عملية الخطاب لتحقيق أغراض أخرى مثال: (هل يريد سيادة الرئيس أن يتفضل بالجلوس) استعملت صيغة الغائب للدلالة على المخاطب لتحقيق غرض التعظيم، (العبد اللئيم يطمع في مغفرة الرحمان الرحيم) استعملت صيغة الغائب للدلالة على المتكلم لتحقيق غرض الدعاء، مع الإشارة إلى أن ضمير المتكلم يمكن أن يكون محدثا أو متحدثا عنه، أما ضمير المخاطب فيكون محدثا أو متحدثا عنه، أما ضمير الغائب فيكون متحدثا عنه فقط.

والضمير يلعب دورا هاما في الربط بين المسند والمسند إليه إذا كان المسند جملة مثل: الخبر الحال، الصفة، الصلة وذلك عن طريق عودته وإحالته إلى المسند إليه حين يأخذ الضمير موقعا في جملة المسند في النص كما يلي:

2-1- الضمير في جملة الخبر:

الأصل في الخبر أن يأتي مفردا وقد يرد جملة نائبة عنه وتحتوي على معنى المبتدأ الذي سيقّت له، ولا يتحقّق هذا الاحتواء المعنوي إلا بوجود عائد أو رابط في جملة الخبر يعود على المبتدأ ويربطها به، وهذا الرابط جعله ابن هشام لا يخرج عن واحد من عشرة روابط سماها (روابط الجملة بما هي خبر عنه) وهذه الروابط هي: الضمير، الإشارة، إعادة المبتدأ بلفظه، إعادة المبتدأ بمعناه، عموم يشمل المبتدأ، أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على

ضمير مدلول على جوابه بالخبر (ال) النائبة عن الضمير، أن يكون معنى الجملة هو ذاته معنى المبتدأ وجعل الضمير هو الأصل في الربط؛⁽²⁷⁾ حيث تستعين جملة الخبر برابط حتى لا يفهم أنها مستقلة عن المبتدأ ، وهذا الرابط بينهما هو ضمير المبتدأ نفسه⁽²⁸⁾، ففي جملة "زيد أبوه قائم" الضمير الهاء المتصل بلفظ (أبوه) يعود على المبتدأ (زيد)، وربط الجملة الخبر (أبوه قائم) بالمبتدأ، ويوظف ضمير الفصل أو ضمير العماد للتفريق بين النعت والخبر، وذكره دليل على أن اللفظ الوارد بعده خبر وليس نعتا.⁽²⁹⁾

ويؤكد "الرضي" حاجة الجملة الواقعة خبرا إلى الضمير الرابط بقوله: ".... وإنما احتاجت إلى الضمير لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزءاً من الكلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر وتلك الرابطة هي الضمير"⁽³⁰⁾، "ولولا هذا الضمير لم يصح أن تكون هذه الجملة خبرا عن هذا المبتدأ، وذلك لأنّ الجملة كل كلام مستقل قائم بنفسه ، فإذا لم يكن في الجملة ذكر يربطها بالمبتدأ حتى تصير خبرا وتصير الجملة من تمام المبتدأ وقعت الجملة أجنبيّة من المبتدأ، ولا تكون خبرا عنه، ألا ترى أنّك لو قلت: زيدٌ قام عمرو، لم يكن كلاما لعدم العائد، فإذا كان ذلك كذلك لم يكن بدّ من العائد".⁽³¹⁾

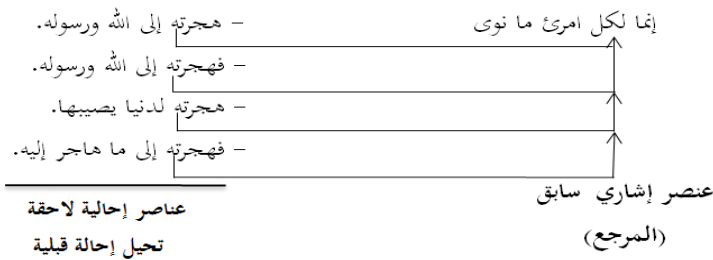
ولبيان دور الضمير الوارد في جملة الخبر في الاتساق النصي اخترت

النماذج التالية:

النموذج الأول:

عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"⁽³²⁾ رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث نجد الجملة الإسمية (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) ، جاء الخبر فيها جملة جواب الشرط (فهجرته إلى الله ورسوله) والمبتدأ اسم شرط (من) ، واتصل بجملة الخبر ضمير متصل (الهاء) في هجرته، يحيل على المبتدأ إحالة قبلية في النص، وهو الضمير نفسه في جملة (هجرته إلى الله) بحيث اتصل هذه المرة الضمير (الهاء) بالمبتدأ ، و يحيل على ذات إحالة قبلية، والخبر جاء شبه جملة (إلى الله). وكذلك نجد الكلام نفسه ينسحب على الجملة الاسمية (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) فالمبتدأ جاء اسم شرط (من) ، والخبر جملة جواب الشرط (فهجرته إلى ما هاجر إليه) و اتصل ضمير بجملة الخبر وهو (الهاء) ، ويحيل على المبتدأ إحالة قبلية ، كما نجد أيضا الجملة الإسمية المنسوخة (كانت هجرته إلى الله) قد اتصل فيها ضمير بالناسخ وهو (التاء) فهو يحيل إحالة بعدية ل (الهجرة) كما اتصل الضمير (الهاء) باسم الناسخ (هجرة) ويحيل إحالة قبلية ، وهذه الضمائر المتصلة والمتمثلة في الضمير (الهاء) كلها تحيل إلى مرجع واحد وهو الإنسان، وسنوضح ذلك من خلال الترسيمة التالية:



فالضمير المتصل (الهاء) هنا في هذه الجمل الواقعة خبرا ، يحيل إحالة سابقة إلى عنصر إشاري وهو (امرئ) وهو بمثابة المرجع لها، بحيث يطابق الضمير العنصر الإشاري نوعًا وعددًا، فهذا الضمير الموجود في جملة الخبر

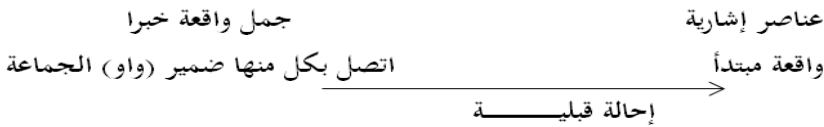
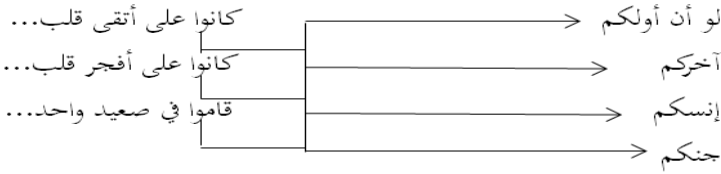
جعل كل الجمل مترابطة متماسكة في النص تؤدي معنى " أن النية معيار لتصحيح الأعمال، فحيث صلحت النية صلح العمل وحيث فسدت فسد العمل" (33) ولولاه لبدا الكلام متنافرا ومفككا يحتاج إلى بيان مقصوده بتراكيب أخرى.

النموذج الثاني:

عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي
وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ
فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي
أَطْعَمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي
إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِيَاغْفِرْ لَكُمْ، يَا
عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَنَضْرُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي
لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْفِي قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ
ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى
أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ
مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا
عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ
اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ" (34) رواه مسلم.

في هذا الحديث نجد جملة (أنا أغفر الذنوب) جاء الخبر فيها جملة فعلية (أغفر الذنوب) والمبتدأ ضمير المتكلم (أنا) والرابط الذي يربط جملة الخبر بالمبتدأ هو الضمير المستتر (أنا) يمكن أن يحيل إلى المبتدأ إحالة قبلية داخلية، كما نجد الجملة الاسمية (هي أعمالكم أحصيتها لكم) قد احتوت على

الجملة الفعلية (أحصيها لكم) وقعت خبرا للمبتدأ (هي) وقد احتوت على ضمير متصل (الهاء) يحيل على المبتدأ أيضا إحالة قبلية وهو مطابق له في الجنس. ونجد في الحديث أيضا الجملة المكررة (لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم) احتوت على اسم الناسخ (أول، آخر، إنس) وقد جاء خبرها في كل مرة جملة فعلية كانت أو إسمية منسوخة اتصل بها ضمير يعود في كل مرة على اسم الناسخ ويطابقه في العدد و النوع والترسيمة التالية توضح ذلك:



فالملاحظ أن الجمل الخبرية (كانوا على أتقى قلب)، (كانوا على أفجر قلب)، (قاموا في صعيد واحد) قد اتصل بكل منها ضمير (واو) الجماعة تحيل إحالة قبلية على المبتدأ (اسم الناسخ) وتطابقه في النوع والعدد وهذا ما حقق اتساق الحديث على المستوى التركيبي ولو حذفنا الضمير لتفكك النص ولما حصل الترابط ولما تحقق أيضا الانسجام على المستويين الدلالي والتداولي؛ حيث أحال الضمير إحالة قبلية على المبتدأ وبين نوعه وعدده وبين مدى استغناء الله في ذاته عن كل شيء وأنه تعالى لا يتكثر بشيء من مخلوقاته.

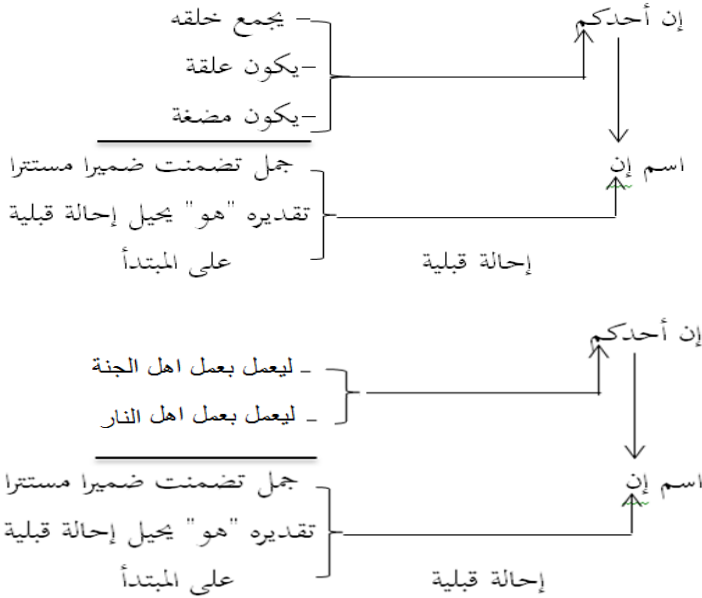
النموذج الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق: " إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتَبُ

رَزَقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا." (35) رواه البخاري ومسلم.

الشاهد من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أحدكم يجمع خلقه) هذه جملة اسمية منسوخة، الناسخ فيها (إن) وهي حرف مشبه بالفعل، جاء اسمها مضافا، "وأحدكم هنا بمعنى واحدكم والإضافة للعموم، لأنها تأتي لما تأتي له اللام، أي كل واحد منكم معشر بني آدم وخصتهم بالذكر لأن غيرهم لا يأتي فيه ما ذكر في الحديث وأتي بـ (إن) التي للتوكيد اهتماما بالمقام، أو لكون خطابه ليس قاصرا على المؤمنين كما في نظيره،(36)" والخبر هنا جاء جملة فعلية (بجمع خلقه) يربطهما بالمبتدأ (أحد) الضمير المستتر (هو) ويحيل عليه إحالة قبلية، والمثال نفسه ينسحب على قوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن أحدكم ليعمل) بحيث إنّ الخبر (ليعمل) جاء جملة فعلية متصلا بفعلها لام الابتداء المزحلقة وقد أفادت التوكيد، وقد تضمنت هذه الجملة ضميرا مستترا تقديره "هو" الذي يربط هذه الجملة الخبرية بمبتدئها ويحيل إليه إحالة قبلية داخلية وبفضل هذه الإحالة الداخلية القبلية لم نحتاج إلى البحث خارج النص لمعرفة المراد بالضمير المستتر والإحالة من أهم العوامل المؤدية إلى الاتساق النصي.

والترسيمة التالية توضح ذلك:



فالرابط في هذه الجمل كلها جاء ضميرا مستترا تقديره "هو" وهو في كل مرة يحي إحالة قبلية داخلية إلى المبتدأ.

وإذا كانت جملة الخبر ليست المبتدأ نفسه في المعنى، فإنها تشترط الضمير رابطا لها بالمبتدأ، حيث يقول المبرد: "واعلم أن خبر المبتدأ لا يكون شيئا إلا هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأول فيكون له فيه ذكر، فإن لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال، ونظير ذلك: زيد يذهب غلامه، زيد أبوه قائم، وزيد قائم عمرو إليه، ولو قلت: زيد قام عمرو، لم يجز، لأنك ذكرت اسما ولم تخبر عنه بشيء، وإنما خبرت عن غيره"⁽³⁷⁾ أي أن أصل الخبر أن يبدأ به في المعنى، وإذا لم يكن كذلك فيجب أن يتضمن رابطا يرجع على المبتدأ فجملة (قام عمرو) في مثال (زيد قام عمرو) خالية من الضمير العائد الذي يرجع إلى المبتدأ، فصارت أجنبية عن المبتدأ وليست من تامه، وأصبح الكلام لا معنى له لانقطاع الصلة بين أجزائه، فكون جملة الخبر غير مستقلة بمعناها فإنها تحتاج إلى رابط يربطها بغيرها.

2-2- الضمير في جملة النعت:

النعته هو أحد التوابع الخمسة (النعته، التوكيد، البدل، عطف لبيان، عطف النسق)، والتابع هو "الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً"⁽³⁸⁾، فإذا جاء مفرداً فهو لا يحتاج إلى واسطة لفظية تربطه بمنعوته، أما إذا وقع النعته جملة شأنه في ذلك شأن الخبر فلا بد من أن تشتمل جملته على رابط لفظي يربطها بالمنعوت وهذا الربط هو الضمير دون غيره.

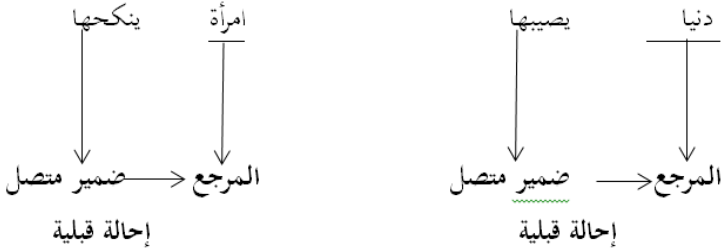
وفي هذا قال المرادي: "الجملة المنعوت بها لا بد من اشتغالها على ضمير يربطها بالمنعوت".⁽³⁹⁾، وقال ابن عقيل "لا بد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصوف"⁽⁴⁰⁾، وقال الإمام السيوطي: "جملة الصفة لا يربطها إلا الضمير"⁽⁴¹⁾، ويرى ابن هشام أن هذا الرابط الذي يربطها بالموصوف يكون إما ملفوظاً به أو مقدراً"⁽⁴²⁾، "فالضمير هو الذي يحصل به (بربطه) اتصاف الموصوف (المرجع) بمضمون الصفة (المرتبط) ولولا الضمير لم يحصل اتصاف الموصوف بمضمون جملة الصفة".⁽⁴³⁾ و"إنما اشترط الضمير في الصفة والصلة ليحصل به على ربط بين الموصوف وصفته، والموصول وصلته، فيحصل بذلك الربط اتصاف الموصوف والموصول بمضمون الصفة والصلة و حصل لهما بهذا الاتصاف تخصص أو تعرف، فلو قلت: مررتُ برجل قائم عمرو، لم يكن الرجل متصفاً بقيام عمرو بوجهه فلا يتخصص به، فإذا قلت: قام عمرو في داره صار الرجل، متصفاً بقيام عمرو في داره"⁽⁴⁴⁾.

ولبيان دور الضمير في ربط جملة النعته نورد منها هذه النماذج:

النموذج الأول:

عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"⁽⁴⁵⁾ رواه البخاري ومسلم.

جاءت لفظة (دنيا) نكرة ونعتت بالجملة الفعلية (يصيها) تضمنت الضمير المتصل بالفعل "الهاء"، الدال على المؤنثة الغائبة والذي جاء مبنياً في محل نصب مفعول به، والفاعل جاء ضميراً مستتراً تقديره "هو" والضمير المتصل "الهاء" عاد على منعوته "دنيا" وأحال عليه إحالة داخلية قبلية وقد تطابق الضمير ومنعوته (المرجع). والأمر نفسه ينسحب على جملة (ينكحها) فقد اتصل ضمير بالفعل "ينكح" واقع مفعولاً به والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" والضمير المتصل بالفعل يحيل إحالة قبلية داخلية إلى مرجعه (امرأة) وقد طابقه في العدد والتأنيث والترسيمة التالية توضح ذلك:



فالمرجع هنا (دنيا، امرأة) سابق للضمير (رابط إحالي) فقد ربط الضمير الجملة الحالية بمرجعها وأحال إليه إحالة داخلية قبلية قريبة لأن المرجع والضمير متواجدان في تركيب لغوي واحد وغير بعيدين عن بعضهما.

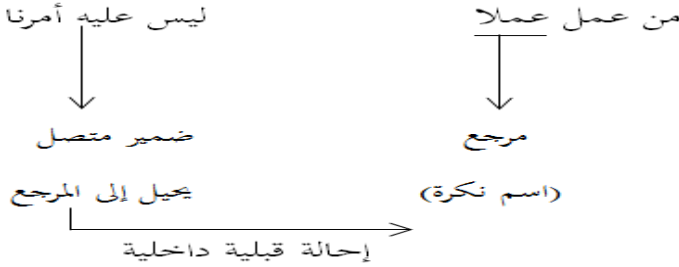
النموذج الثاني:

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم

وفي رواية مسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ"⁽⁴⁶⁾

فالشاهد من هذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ" فقد جاءت الجملة "ليس عليه أمرنا" في محل

نصب صفة لـ "عملا" وقد اتصل بالجملة الضمير "هاء" في "عليه" ويحيل إحالة قبلية داخلية إلى " عملا" واصلاً بذلك الجملة النعتية بمنعوتها ورباطاً إياها به ومحيلاً بدوره على نوعه وعدده، والترسيمة التالية توضح ذلك:



فالملاحظ أن الضمير المتصل "هاء" ربط الجملة الصفة بموصوفها (المرجع) و وافقه في العدد والنوع ولولا وجود الضمير ل صار الكلام مفككا ولا معنى له، فالضمير المتصل حقق الربط على المستوى التركيبي والارتباط على المستوى الدلالي وحقق الانسجام على المستوى التداولي، ببيان أن أي عمل دون أصلٍ من الدين فهو باطل ومردود على صاحبه.

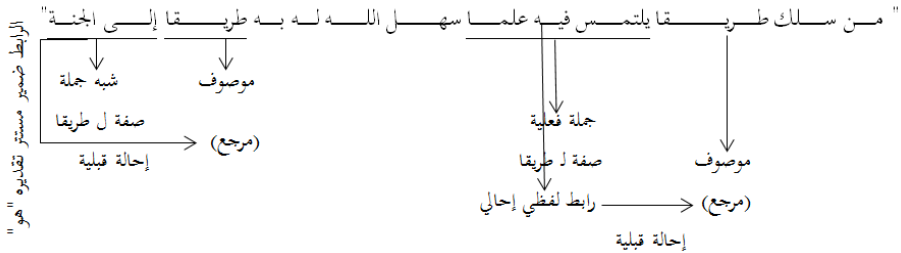
والضمير هنا ربط بين السابق واللاحق وبيّن المعنى وقد وافق العائد عليه في النوع والعدد، ولولا وجوده لانفصمت العلاقة بين النعت ومنعوته وسجلنا حالة من الافتقار والخلل في النص، وجملة النعت بوصفها تابعا فأصلها أن تأتي بعد المتبوع، وهذا يعني أن الضمير المشتملة عليه يرجع إلى متقدم فالإحالة هنا -كما سبق بيانه- قبلية أو إحالة إلى سابق في النص.

النموذج الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا

اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". (47) رواه مسلم.

وردت في هذا الحديث ثلاث جمل كلها وقعت نعتا، فالجملة الأولى هي (يلتمس فيه علما) وهي جملة فعلية، جاءت في محل نصب صفة لـ(طريقا) ورد فيها الضمير (الهاء) متصلا بحرف الجر، يحيل إحالة قبلية داخلية إلى المرجع (طريقا) وقد طابقه نوعا وعددا، أمّا الجملة الثانية فهي جملة (إلى الجملة) وهي في الحقيقة شبه جملة وموصوفاها هو (طريقا) "قالجار والمجرور شبه جملة في محل نصب صفة لـ "طريقا" المنصوب" (48) والرباط الذي يربط جملة الصفة بمرجعها (الموصوف) هو الضمير المستتر "هو" فتقدير الكلام "سهّل الله له به طريقا إلى الجنة" ولتوضيح الأمر نلاحظ الترسيمة التالية:



فهنا لما كانت جملة الشرط (من سلك طريقا يلتمس فيه علما) متضمنة جملة واقعة صفة ربطت بموصوفاها بضمير متصل، جاءت جملة الجواب (سهل الله له به طريقا إلى الجنة) متضمنة جملة واقعة صفة ارتبطت بموصوفاها بضمير مستتر مقدّر، فنشأ بهذا الاستتار ارتباط معنوي بين الصفة وموصوفاها في الشق الثاني من الجملة الشرطية-أي في جملة الجواب- وربط لفظي في الشق الأول من الجملة الشرطية- أي في جملة الشرط- فتحقق بذلك المستوى التركيبي، من خلال الربط اللفظي والمستوى الدلالي، من خلال الارتباط المعنوي المحقق بالضمير المستتر، ومن خلالهما تحقق المستوى

التداولي من خلال السماح بقيام التواصل ووصول الرسالة منسجمة متنسقة ولو لم يكن ذلك الرابط المحيل، بين الموصوف والصفة لكان الظلام والضبابية في النص، فلا يفهم المتلقي قصد الكلام، واللغة إنما تتوَحَّى الوضوح وتسعى إلى الفهم الصحيح للخطاب، لتحقيق التأثير في المتلقي والانسجام معه.

2-3- الضمير في جملة الحال:

الأصل في الحال الأفراد وهو بهذا يشبه الخبر والصفة، كما يشبه الخبر في إثبات المعنى لدى الحال وللمبتدأ بالخبر، كما ذهب إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: "ذلك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث أنك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبته بالخبر للمبتدأ" (49) وتأتي الحال جملة كما هو الحال بالنسبة للخبر.

والحال الجملة تركيب لغوي يأتي بعد معرفة لبيان هياتها حين ملابسة الفعل، ولابد للحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها (50)، "لئلا يتوهم أنها مستأنفة وذلك يكون بأحد أمرين إما الواو وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها" (51) ووظيفة هذا الرابط هو اتصال المعنى بين الجملتين وإلا كانتا منفصلتين لا صلة بينهما، ففي قوله تعالى: (أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها) البقرة: ٢٥٩ نجد أن الرابط هو الضمير البارز (هي) العائد على القرية ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) القصص: 25 فالضمير المستتر في الفعل (تمشي) هو الرابط للحال بصاحبها (إحداهما)، وقد كان الضمير متأخرا عن المرجع ليقوم بربط آخر التركيب بأوله، وإذا لم نجعل الضمير المستتر في الفعل (تمشي) عائدا إلى (إحداهما) لكان الفعل (تمشي) بداية كلام مستأنف ولا ينتظر السامع فاعلا للفعل (تمشي)، ومن خلال هذا يتبين لنا كيف قام الضمير -بارزا أو مستترا- في النص بوظيفة الربط والإحالة معاً.

ولبيان دور الضمير في ربط جملة الحال نورد النماذج التالية:

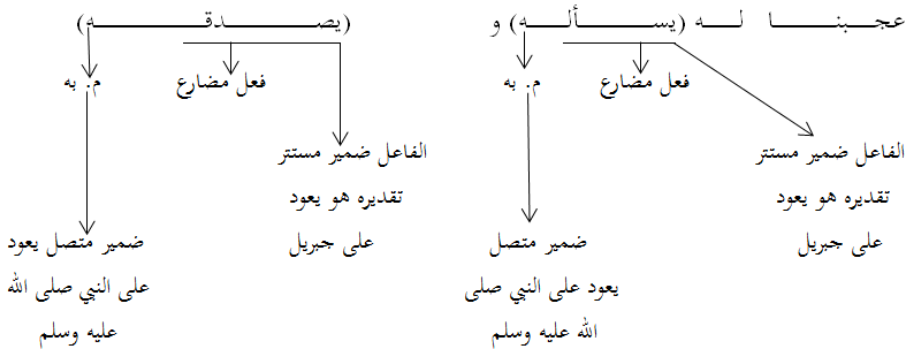
النموذج الأول:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَسَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " فَقَالَ " صَدَقْتَ "، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ: قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ " قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا: قَالَ: " أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحِفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ "، ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: " يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلُ؟ " قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " (52) رواه مسلم.

هذا الحديث العظيم والذي يسمى بحديث جبريل عليه السلام احتوى نصه على ستّ جملٍ حالية هي:

(إن استطعت إليه سبيلا) فقد ابتدأت هذه الجملة الحالية ب (إن) الشرطية، وجاء بعدها فعل ماضٍ فاعله الضمير المتصل (ت) ، وهو عنصر محيل في النص ، يعود على المخاطب وهو جبريل عليه السلام ، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم، يخاطب هنا جبريل عليه السلام، مبيّنا له أن الحج يكون

باستطاعتك؛ أي بوصولك بغير مشقة عظيمة مع أمنك على نفسك ومالك. فالضمير المتصل بالفعل ربط جملة الحال بصاحب الحال، وأحال إليه إحالة قبلية أمّا الجملة الثانية فهي جملة (يسأله)، وهي جملة فعلة تتكون من الفعل المضارع (يسأل) والفاعل ضمير مستتر والمقدر ب (هو) يعود على (رجل) وهو جبريل ، و(الهاء) وهو الضمير المتصل المبني في محل نصب مفعول به ،يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، كونه الشخص المسؤول ،والضمير المتصل (هـ) يحيل إحالة قبلية ،ويربط الجملة الحالية بصاحبها ،وهو مطابق في النوع والعدد وهو المفرد الغائب المسؤول، والجملة الثالثة هي جملة (يصدقه) والكلام نفسه ينطبق عليها، حيث اتصل بالفعل ضمير يحيل بدوره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولتوضيح ذلك نلاحظ الترسيمة التالية:



فالملاحظ على هذه الترسيمة أنّ الفاعل ضمير مستتر، تقديره "هو" يعود على جبريل عليه السلام، فهو السائل وهو المصدّق أما المفعول به فهو الضمير المتصل بالفعل، يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المسؤول والمصدّق وهذا الضمير بدوره ربط بين الجملتين الحاليتين بمرجعهما ، والذي هو نفسه يحيل إليه إحالة نصية داخلية قبلية؛ لأننا لو بحثنا في المتقدم من النص نجد أن الرّجل (جبريل) هو السائل (الفاعل) والنبي صلى الله عليه وسلم المسؤول أي المجيب (المفعول به)، فالحوار يدور بين طرفين جبريل كطرف

سائل والنبي صلى الله عليه وسلم كطرف مسؤول، فهنا يتعاقد الضمير المحيل مع قرينة الرتبة، فيتبين أن المحال إليه هو (النبي صلى الله عليه وسلم) وهو المفعول به، وبعيدا عن هذا التحليل النحوي، فإن المتلقي في هذا له الدور الرئيس في فهم النص، حينما يدرك طرفي الخطاب ويصبح جلياً أن اتساق النص وانسجامه بني على الإحالات وعلى مبدأ تعاضد الروابط ودور المتلقي والكلام نفسه ينطبق على جملة (يتناولون في البنين) بحيث أن واو الجماعة اتصلت بالفعل فهي "فاعل" أحالت بدورها إحالة نصية قبلية إلى مرجعها وهو صاحب الحال، (الحفاة، العراة العالة، رعاء الشاء) وقد جاء الضمير رابطا الجملة الحالية، (يتناولون في البنين) بصاحبها وموافقا له نوعا وعدداً فلما كان صاحب الحال جماعة دالة على المذكر جاء الضمير "واو" الجماعة، أما جملة (أتاكم) وجملة (يعلمكم) فهي جمل فعلية فاعلها ضمير مستتر، تقديره "هو" وهو بدوره يربط الجملة الحالية بصاحبها المذكور قبلا "جبريل" ويحيل إليه إحالة نصية قبلية وموافقا له في النوع والعدد.

النموذج الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) المؤمنون: 51 وقال أيضا: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) البقرة: 172. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ: أَشَعَثَ أَغْبَرَ، يُمْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُدْيَتِي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ" (53) رواه مسلم.

تكرر صاحب الحال ست مرات كما يلي (الرجل)، (ضمير مستتر في: يُطِيل، يُمْدُ، عُدْيَتِي) والضمير المتصل في (مطعمه مشربه) وقد ارتبطت هذه الأحوال ببيان شرط قبول الأعمال عند الله عز وجل، وأنه سبحانه لا يقبل إلا

الطيب، والملاحظ أن الجمل الحالية التي جاء فيها الضمير مستترا وردت بعد صاحبها مباشرة فنذكر صاحب الحال (الرجل) ثم ذكرت بعده أحواله (يطيل السفر) (يمد يديه)، ولما جاء فاصل بين هذه الجمل والجمل الحالية الأخرى، وظف الرابط فجاء ضميرا متصلا، ففي جملة (ومطعمه حرام) ربطت هذه الجملة بـ "واو" الحال وجاء بعدها (مطعم) مبتدأ مضافاً والضمير مضافاً إليه، يحيل هذا الضمير إحالة إلى سابق وهي إحالة نصية قبلية والكلام نفسه يُقال في جملة (مشرية) وجملة (ملبسه)، فهذه الجمل الاسمية اشتملت على الضمير "ها" وهو الضمير الرابط لجمل الحال بصاحبها، وهو "الرجل" وهذه الإحالة القبلية من عدة أحوال إلى صاحب حال واحد، تفيدك بمدى تضافر هذه الخصال السيئة في منع استجابة الدعاء، وهذه الفائدة ناتجة عن وحدة النص وتماسكه واتساقه، والتي قامت بواسطة الضمير الذي شد ترابط أجزاء النص ومنعه من التفكك، فالجملة الحالية تحتاج إلى رابط يربطها بالاسم المعرفة الذي هو صاحب الحال، وهذا الرابط هو الضمير أو واو الحال أو الضمير و واو الحال معاً، قال ابن يعيش: "فإذا وقعت الجملة حالا فلا بد فيها مما يعلقها بما قبلها ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين، إما الواو، وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها"⁽⁵⁴⁾

النموذج الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ يُتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ

عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". (55) رواه مسلم.

يتباهى الله عز وجل بمن يجلسون في المسجد وحالهم أنهم (يتلون كتاب الله)، (يتدارسونه بينهم)، وهاتان الجملتان فعليتان فعلهما مضارع اشتملتا على "واو" الجماعة وهو الضمير الرابط لجملتي الحال بصاحبيهما وهو "قوم"، فيحصل لهم بذلك أحوال هي (نزلت عليه السكينة)، (عشيتهم الرحمة)، (حفتهم الملائكة)، (ذكرهم الله فيمن عنده) وهذه جمل فعلية فعلها ماض اشتملت على الضمير (هم) الدال على الجماعة وهو الضمير الرابط لجمل الحال بصاحبها وهو (قوم) والترسيمة التالية توضح ذلك:



الملاحظ أن الإحالة القبليّة، من عدة أحوال إلى صاحب حال واحد، تفيدك بمدى وحدة وتساوي سلوك العباد في المسجد وخصوصا عندما يتلون كتاب الله ويطلبون العلم، وهذه الفائدة ناتجة عن وحدة النص وتماسكه واتساقه، والتي قامت بواسطة الضمير الذي شد ترابط أجزاء النص ومنعه من التفكك فالجملة الحالية تحتاج إلى رابط يربطها بالاسم المعرفة الذي هو صاحب الحال، وهذا الرابط هو الضمير.

فجملة الحال هنا لا تختلف عن جملة النعت في شيء سوى أن الأولى تأتي مبيّنة هيئة الاسم المعرفة الذي يرد قبلها، حيث تقع الحال الجملة موقع المفرد فتتوب عنه وتأتي من حيث الترتيب بعد معرفة يقول المبرد: " وإنما تكون الجمل صفات للنكرة وحالات للمعرفة... وتقول مررت بعبد الله بيني داره فيصير (بيني) في موضع نصب لأنه حال كما تقول مررت بعبد الله بانياً داره." (56)

2-4- الضمير في جملة الصلة:

جملة الصلة هي الجملة الواقعة بعد الاسم الموصول لإزالة الإبهام عنه، قال صاحب المقتضب: "واعلم أن الصلة موضحة للاسم فلذلك كانت هذه الأسماء المبهمة، وما شاكلها في المعنى، ألا ترى أنك لو قلت، جاءني الذي أو مررت بالذي، لم يدُلُّكَ ذلك على شيء حتى تقول: مررت بالذي قام، أو مررت بالذي من حاله كذا وكذا، أو بالذي أبوه منطلق، فإذا قلت هذا وما شابه وضعت اليد عليه" (57).

يقول ابن يعيش عمّا يصلح أن يكون صلة للموصول، وعن كيفية ربط العائد الذي لا بدّ منه في الصلة بين هذه الصلة (المرتبط) و الموصول(المرجع): " وجملة الأمر أنّ الصلة بأربعة أشياء : (الفعل والفاعل)و(المبتدأ والخبر)و(الشرط وجوابه)و(الظرف)ولا بدّ في كلّ جملة، من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول، وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول ويؤذن بتعلقها بالموصول" (58)، وهذا الرابط لا يكون غالبا إلا ضميرا، وهو ما عبر عنه "ابن هشام" بقوله: " الجملة الموصول بها الأسماء لا يربطها غالبا إلا الضمير، إما مذكورا نحو قوله تعالى: (وما عملته أيديهم) (يس 35)، وقوله تعالى: (وما تشتهيهِ الأنفس) الزخرف: ٧١ وإما مقدرا نحو: قوله تعالى: (أيهم أشدّ) مريم: ٦٩... (59) فالضمير العائد على

الاسم الموصول في الآية الأولى هو (هاء الغائب) المتصل بالفعل (عمل)، والضمير الرابط صلة الموصول باسمها في الآية الثانية هو (هاء الغائب) المتصل بالفعل (تستهي) أما في الآية الثالثة فالضمير العائد محذوف على تقدير: أيهم هو أشدُّ، وقد يغني عن الضمير في الربط اسم ظاهر يقع موقع ذلك الضمير وهو قليل.

ولبيان دور الضمير في ربط جملة الصلة نورد هذه النماذج:

النموذج الأول:

عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"⁽⁶⁰⁾ رواه البخاري ومسلم.

احتوى هذا الحديث على موصولين وهما: (ما، من) ذكرا أربع مرات، مرتين لكل واحد منهما كما يلي:

(ما) لغير العاقل وردت على مرتين فجاءت صلتها في الجملة الأولى (نوى) وفي الجملة الثانية (ما هاجر إليه) فأصل جملة الصلة الأولى (نواه) فحذف ضمير الغائب المتصل وهو "الهاء" وهو الذي ربط بين الصلة وموصولها من جهة وأحال إلى مرجعه الأصلي وهي (الأعمال) الذي يطابق اسم الموصول المشترك "ما".

"من" للعاقل وصلتها الجملة "كانت هجرته" فالضمير الرابط بين الصلة وموصولها هو الضمير المتصل (ه) في لفظ (هجرة) وفي موضع آخر من النص نجد صلتها الجملة نفسها مكررة.

النموذج الثاني:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوبِهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي

وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَطَّالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَانِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعُمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ" رواه مسلم

احتوى هذا الحديث على اسم موصول واحد، وهو "من" وقد تكرر خمس مرات وجاءت صلته كما يلي: (هديته) (أطعمته)، (كسوته) (وجد خيرا)، (وجد غير ذلك) وهي جمل فعلية أفعالها ماضية، جاء فاعلها ضميرا متصلا (التاء) ومفعولها ضميرا متصلا أيضا وهو (الهاء)، أما في (وجد خيرا) و (وجد غير ذلك) فالفاعل جاء ضميرا مستترا تقديره (هو)، وهذا الأخير و الضمائر المتصلة السابقة الذكر، كانت الرابط الإحالي الذي ربط جمل الصلة بموصولاتها، ويحيل إلى مرجعه إحالة قبلية قريبة جدا، ولولا هذه الضمائر المحيلة لحدث انكسار على مستوى التركيب وانقطعت علاقة الاتساق بين جملة الصلة وموصولها.

النموذج الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ

إِلَىٰ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمَعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِبْتَنِي، وَلَئِنْ اسْتَعَاذْتَنِي لِأُعِيدْتَنِي" رواه البخاري.

هذا الحديث رغم قصره غير أنه احتوى على أربع موصولات وهي (من، ما، الذي، التي) ذكرت في مجملها سبع مرات كما يلي: (من) وصلته (عادي) وهي جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على اسم الموصول (من) وهو الرابط الإحالي الذي يربط جملة الصلة بموصولها.

(ما) وصلته (افتراضته عليه) وهي جملة فعلية احتوت على ضمير متصل بالفعل (ها) يربطها بالاسم الموصول ويحيل إليه إحالة قبلية داخلية . (الذي) وصلته الجمل التالية (يسمع به)، (يبصر به)، وربطت هذه الجمل بموصولها بالضمير المتصل بحرف الجر وأحال إليها إحالة قبلية وهذا الضمير وافق الموصول (الذي) نوعا وعددا.

(الذي) وصلته الجملتان (يبطش بها)، (يمشي بها) وهما جملتان فعليتان فعلها مضارع وفاعلها ضمير مستتر تقديره هو، والضمير الرابط لهاتين الجملتين هو (الهاء) الدالة على المفردة الغائبة، والذي بدوره يحيل إحالة نصية داخلية قبلية على اسم الموصول وهو يطابق اسم الموصول في الجنس والعدد. كما أن الضمير (ها) يطابق الموصول (التي) في الإفراد والتأنيث وكانت هذه المطابقة كاملة لأنها تمت على مستوى لفظ الموصول ومعناه والمطابقة التامة تشترط في الضمير العائد على الموصول المختص، أما إذا كان عامًّا فإن المطابقة قد تتم على مستوى اللفظ أو المعنى أو على مستوى اللفظ والمعنى معا، باستثناء الموصول الاسمي المشترك، فالمطابقة فيه تتم على مستوى المعنى وحده، لخفاء موصوليتها بغير المطابقة.

وهنا يقول عباس حسن: "والضمير العائد يجب أن تكون مطابقته تامة، بأن يوافق لفظ الموصول ومعناه وهذا حين يكون الموصول اسما مختصا،

فيطابقه الضمير في الأفراد والتأنيث وفروعهما... أما إذا كان الموصول عاما (أي مشتركا) فلا يجب في الضمير مطابقته مطابقة تامة لأن الاسم الموصول العام لفظه مفرد مذكر دائما، مثل: (من، ما، ذو...) ولكن معناه قد يكون مقصودا به المفردة أو المثنى أو الجمع بنوعيهما ولهذا يجوز في العائد، أي : الرابط عند أمن اللبس وفي غير (ال) مراعاة اللفظ، وهو الأكثر ، ومراعاة المعنى وهو كثيرا أيضا"⁽⁶¹⁾

تضافرت الضمائر الموجودة في هذا النص لتلخص "ولاية الله لمن يكون الله قد أحبه، ومعنى ذلك أنه تعالى الحافظ لسمعه وبصره، وليطش يده ورجله من الشيطان" ويحتمل كنت في قلبه عند سمعه وبصره وبطشه فإذا ذكرني كف عن العمل لغيري."⁽⁶²⁾

فهذه الضمائر التي اشتملت عليها الجمل الصلات تحيل إلى موصولاتها وهذه الأخيرة تحيل بدورها إلى مراجعها، وهذا التعدد والتداخل الإحالي أضفى على كتلة النص خفة واختصارا وعلى تركيبه تماسكا واتساقا وعلى معانيه تأثيرا وانسجاما.

2-5- ضمير الشأن:

ضمير الشأن تسمية بصرية، أما الكوفيون فيسمونه الضمير المجهول "كونه الضمير العائد إلى غير مذكور تقدّم ،و الضمير إنّما يكون معلوما إذا تقدّمه مذكور،... وهذا الضمير يكون متّصلاً مرفوعاً ومنصوباً، كما يكون منفصلاً مرفوعاً ،وهو ضمير غيبية يقدم لتفخيم الكلام...والجملة بعده تكون خبيرا عنه وتفسيرا له"⁽⁶³⁾ ففي قوله تعالى: (قل هو الله أحد) الإخلاص:

١، نجد الضمير المفصل "هو" هو ضمير الشأن، وقد تصدر الجملة الإسمية وهو في موضع الإشارة و توجيه الأنظار إلى تعظيم المولى عز وجل، والجملة الإسمية (الله أحد) هي التي فسرتة، وقد جاء في هذه الآية دالا على المفرد المذكر، وأمّا الدال على المؤنث"فقد خصّه النحويون باسم ضمير القصّة

ويجعلونه مكان ضمير الشان: مثل: إِنَّهَا جَارِيَتَكَ مِنْطَلَقَةً⁽⁶⁴⁾، وكما في قوله تعالى: (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) الأنبياء: ٩٧، فالضمير المنفصل "هي" الواقع بعد إذا الفجائية هو ضمير القصة وقد فسرتة الجملة الواقعة بعده.

يرى "تمام حسان" أن ضمير الشان يقوم بوظيفة الربط ويعود دائما متأخرا لفظا ورتبة ويتطابق تذكيرا وتأنيثا في الغالب مع المسند إليه في الجملة المفسرة، ومن ثم تتشكل علاقة الربط⁽⁶⁵⁾، فضمير الشان يعود دائما إلى ما بعده، أي إن مرجعه متأخر عنه، وهذا المرجع لا يكون إلا جملة مفسرة له، ولا يمكن أن تتقدم عليه، أي أن ضمير الشان يقوم بإحالة بعدية أو الإحالة إلى لاحق، وهذه الإحالة داخلية لأن المرجع جملة مفسرة داخل النص وليس خارجه، كما أن هذه الإحالة من حيث المدى تُعدُّ قريبة لعدم وجود فاصل بين هذا الضمير ومرجعه.

وقد ورد ضمير الشان في الأربعين النووية أزيد من سبع مرات نورد منها

المثالين التاليين:

النموذج الأول:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، فَقَالَ "صَدَقْتَ"، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ:

صَدَقَتْ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ: قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَبْرَأُكَ" قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ أَمَارَتَيْهَا: قَالَ: " أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: " يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ." رواه مسلم

ففي هذا الحديث الشريف المعروف بحديث جبريل، نجد الضمير المتصل للمفرد الغائب "الهاء" الواقع اسما للناسخ في (فإنه) هو ضمير شأن فسرته الجملة الفعلية بعده (يرأك) والتي هي خبر للناسخ، وضمير الشأن المتصل (الهاء) قد أحال إليها إحالة بعدية قريبة وتطابق مع شأن الرؤية في الأفراد كونه يحيل إلى الذات الإلهية، كما نجد الضمير نفسه (الهاء) في جملة (فإنه جبريل) وقع أيضا اسما للناسخ في (فإنه) وهو ضمير شأن فسرته الجملة الاسمية بعده (جبريل أتاكم) والتي هي خبر لناسخ (إن)، وضمير الشأن المتصل (الهاء) قد أحال إحالة بعدية قريبة جدا وتطابق مع اللفظ الذي جاء بعده وهو (جبريل) في الأفراد والتذكير، فضمير الشأن بإحالاته البعدية قد حقق نوعا آخر من اتساق النص يختلف عن الذي تفعله معظم الضمائر التي تحيل في النص إحالات قبلية.

النموذج الثاني:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوبِهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: "... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ رَبَّهُ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"⁽⁶⁶⁾ رواه مسلم.

الضمير المنفصل للمفردة الغائبة "هي" هو ضمير الشأن أو ضمير القصة، حيث وقع مبتدأ خبره هو الجملة الواقعة بعده (أعمالكم) التي عملت

على تفسيره، فنلاحظ أن الضمير "هي" أحال إلى ما بعده إحالة بعديّة داخلية قريبة وتطابق مع المحال إليه في التأنيث، وبهذا عمل الضمير على نسج اتساق داخل النص.

وقد تناول "ابن هشام" في كتابه "مغني اللبيب عن كتب الأعراب" الروابط التي تحيل إحالة بعديّة في مبحث "المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر" وهو ما يعني اهتمام علمائنا بالدور الرابطي للضمير من خلال مرجعيته على متقدم أو متأخر، وسبقهم إلى ملاحظة فكرة الإحالة وإن كان تناولهم لها بقي في إطار الجملة.

والنحاة العرب لما عالجوا أمر الإحالة والربط بالضمير في إطار نحو الجملة، لم يتحدثوا عن هذا الأمر بشكل أكثر شمولية حتى يشمل النص ككل، بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى، كما هو جار في مباحث نحو النص، لأن معظم دراساتهم كانت تدور في فلك الجملة، وانطلاق النحو العربي من نحو الجملة وانحصاره في هذا الإطار، لا يعد عيباً، أو قصوراً، ولا ينقص من قيمة الدرس النحوي العربي"، وإنما يرد إلى الأسباب التي من أجلها تم القيام بتقعيد اللغة، وكان من أهم هذه الأسباب؛ الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة والاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة⁽⁶⁷⁾.

وإذا كان الربط بالضمير في المواضع التي أوردتها النحاة لم يتجاوز حدود الجملة، فهذا لا يعني أن علماءنا لم يعنوا بمرجعية الضمير على مستوى النص، فهذا الفراء (ت207هـ) يحدد مرجعية الضمير المتصل "الهاء" في قوله تعالى: (يأتيكم به) الأنعام: ٤٦. إلى لفظ "الهدى" المذكور في الآية (ولو شاء الله لجمعكم على الهدى) الأنعام: ٣٥ والذي تقدم عن الضمير في السورة بعشر آيات كاملة⁽⁶⁸⁾ أي أنه تجاوز مرجعية الضمير من مستوى الجملة إلى مستوى النص مراعاة للنظم، وهذا يبين إدراكه لمدى مساهمة الإحالة بالضمير في إبراز محور الخطاب وإمكانية عود الضمير إلى بؤرته في النص التي تمثل

غرض الخطاب، وليست فحسب إلى تلك الموجودة معه في الجملة وهو ما يسمى بمبدأ **التغريض** الذي هو آلية من آليات الانسجام النصي وهو ما يدل على أن علماءنا قد أسسوا لكثير من المفاهيم التي انبنى عليها علم اللغة النصي أو "نحو النص" و"نحو الخطاب الوظيفي".

خاتمة:

من خلال ما سبق تبين لنا كيف أسهمت الضمائر في جعل الحديث النبوي الشريف، منسق المباني ، منسجم المعاني ، والضمائر تستخدم عوضا عن الأسماء والصفات التي لا لزوم لتكرارها ، فالربط بالضمير بديل لإعادة الذكر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار، وهو بهذا يمنع تجدد الدلالة في الخارج ويحقق أمن اللبس، ومن الضمائر ما يحيل إلى داخل النص كضمائر الغائب، ومنها ما يحيل إلى خارج النص كضمائر المتكلم والمخاطب، ومنها ما يحيل إحالة قبلية ومنها ما يحيل إحالة بعدية (كضمير الشأن والقصة) ، وقد تكون الإحالة قريبة من المحال إليه أو بعيدة عنه، حيث تساهم الإحالة البعيدة التي قد يكون فيها المحيل في آخر النص ، والمحال إليه في أول النص إلى العودة إلى بؤرة النص وإبراز محور الخطاب، وغرضه، وهو ما يسمى بمبدأ **التغريض** ، الذي هو آلية من آليات الانسجام النصي.

الإحالات:

(1) أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت 626 هـ): مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000. ص 116.

(2) - أبو محمد الحسن بن قاسم المرادي (ت 749 هـ): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح، عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،، ط1 2001، ج1، ص 358.

- (3) - ينظر: أبو البشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت180هـ): الكتاب علق عليه ووضع حواشيه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999ج2، ص 77-78.
- (4) - ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) : المقتضب، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج4، ص 277-278.
- (5) - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ): مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر ، ط2، دت، ص 332-333.
- (6) - رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي(ت686هـ) : شرح كافية ابن الحاجب، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص 93.
- (7) - حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005، هامش صفحة:254.
- (8) - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني(ت471هـ) :دلائل الإعجاز، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1424هـ - 2004 م ، ص 183
- (9) - سيبويه: الكتاب، ج1، ص 135.
- (10) - محمد خطابي: لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب - المركز الثقافي العربي، "، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991م ، ص 17.
- (11) ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب؛ تحقيق حنا الفاخوري؛ دار الجيل؛ بيروت؛ ط1؛ 1988م، ص، 154-155، -؛ وهي:
1. باب ضمير الشأن: كقوله تعالى: (قل هو الله أحد)الإخلاص: ١، فالضمير (هو) أحال على لفظ الجلالة (الله) وهو متقدم عليه.
 2. أن يخبر عنه بما يفسره؛ نحو قوله تعالى:(وقالو ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) (الجاثية:24)، وتقدير الآية - والله أعلم- وما الحياة إلا حياتنا الدنيا.
 3. الضمير في باب نعم وبئس: نحو قوله تعالى:(بئس للظالمين بدلاً) (الكهف:50)، فالضمير المستتر في (بئس) يحيل على (بدلاً).
 4. الضمير المجرور ب(رب)؛ كما في قولنا ربّه رجلا، فالهاء المجرورة بعد (رب) تحيل على (رجلا).

5. الضمير في باب التنازع؛ إذا عمل الثاني واحتاج الأول إلى مرفوع، نحو : قاما وقعدا أخواك؛ فالضمير في (قاما وقعدا) وهو الألف، يحيل على (أخواك).

6. الضمير الذي يبذل منه الاسم الذي يأتي بعده؛ كقولنا في ابتداء الكلام: ضربته زيدا.

7. الضمير إذا كان متصلا بفاعل مقدم ويعود على مفعول مؤخر، ويرى ابن هشام إنمّا يقع هذا في الضرورات الشعرية على الأصح، ويستشهد بقول الشاعر:

جزى ربه عنيّ عديّ بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فالضمير في (ربه) أحال على (عديّ) وهو متأخر لفظا ورتبة.

هذه مجمل الأبواب التي جمعها ابن هشام لمواضع عود الضمير على متأخر لفظا

ورتبة، وهو - كما رأينا- إحالات على كلام لاحق، وكان الضمير متقدّم عليه.

(12) يُنظر: ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، ص502-510.

(13) الرضيّ الاسترأبادي: شرح كافية ابن الحاجب، ج1، ص238.

(14) ابن يعيش: شرح المفصل، ج1، ص88-89.

(15) ابن هشام المصدر السابق ج503، 2.

(16) يُنظر: ابن يعيش: المصدر السابق، ج3، ص52.

(17) يُنظر: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ابن

الأنباري (ت577هـ): أسرار العريية؛ تحقيق محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي؛

دمشق؛ د. ط، د. ت. ص 298.

(18) ابن يعيش: شرح المفصل، ج3، ص151.

(19) ابن يعيش: المصدر نفسه، ج2، ص65.

(20) للرضيّ الاسترأبادي حديث طويل عن العامل في الاسم المتقدم، ويذكر آراء النحويين

وخلافهم فيه، يُنظر: الرضيّ الاسترأبادي: شرح الكافية، ج1، ص437-441.

(21) يُنظر: ابن الأنباري: أسرار العريية، ص 298-299، وابن يعيش: شرح

المفصل، ج3، ص64.

(22) ابن يعيش: شرح المفصل، ج6، ص84.

(23) الرضيّ الاسترأبادي: شرح كافية ابن الحاجب، ج4، ص64.

(24) - سيبويه: الكتاب، ج2، ص 06 .

- (25) - أبو الفتح عثمان ابن جني، (ت 792هـ): الخصائص، تح عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ، ط2، 2002، ج1، ص 104.
- (26) - المبرد: المقتضب، ج4، ص 280.
- (27) - ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص 573 وما بعدها.
- (28) - محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب ، د ط، القاهرة، مصر، 2003، ص 106 .
- (29) - عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف ، القاهرة، مصر، ط5، 1980، ص 1114 .
- (30) - الرضي الاسترأبادي: شرح الكافية، ج1، ص 208..
- (31) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج1، ص 171 وما بعدها.
- (32) - النووي: الأربعون النووية، ص 3.
- (33) - يحي بن شرف النووي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ابن دقيق العيد، محمد بن صالح العثيمين: شرح الأربعين النووية، دار ابن الجوزي ، القاهرة، مصر، د ط ، 2010، ص 11.
- (34) - النووي: الأربعون النووية، ص 30 .
- (35) - النووي: الأربعون النووية، ص 8 .
- (36) - حسني عبد الجليل يوسف: اعراب الأربعين النووية، ص 52.
- (37) - المبرد: المقتضب، ج4 ، ص 127-128.
- (38) - بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل (ت 279هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت، لبنان، ط5، 1998، ج 2، ص 199.
- (39) - المرادي : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج3، ص953.
- (40) - ابن عقيل: المرجع السابق، ج2، ص 206.
- (41) - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص 216.
- (42) - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب ص 78.
- (43) - حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، ص 253.
- (44) - الرضي الاسترأبادي: شرح الكافية، ج2، ص 324.

- (45) - النووي: الأربعون النووية، ص 3.
- (46) - المصدر نفسه، ص 10
- (47) - النووي: الأربعون النووية، ص 45 .
- (48) - حسني عبد الجليل يوسف: اعراب الأربعين النووية، ص 243.
- (49) - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 206.
- (50) - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص 248.
- (51) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج1، ص 394.
- (52) - النووي: الأربعون النووية، ص 5
- (53) - النووي: الأربعون النووية، ص 15
- (54) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص 66
- (55) - النووي: المصدر السابق، ص 45
- (56) - المبرد: المقتضب، ج4، ص 123.
- (57) - المصدر نفسه: ج3، ص 197.
- (58) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص 116.
- (59) - ابن هشام: المغني، ج2، ص 597.
- (60) - النووي، الأربعون النووية، ص 3
- (61) - عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص 343.
- (62) - حسني عبد الجليل يوسف: اعراب حديثا النووية، ص 260.
- (63) - عوض محمد القوزي: المصطلح النحوي -نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص180.
- (64) - المرجع نفسه، ص180.
- (65) - ينظر تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 151.
- (66) - الأربعون النووية، ص 30.
- (67) - صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 49.
- (68) - ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج1، ص 335.

**Le Caractère Nominal du Verbe Imperfectif
en Arabe Littéraire**

Dr.Jaouad Moumni Université ouadjda Maroc